الاحتراس والاعتراض في آيات القرآن الكريم (دراسة تحليلية)

إعداد

د. ملهمة خضر عبد الرحيم سعيد

أستاذ مساعد في تخصص: التفسير وعلوم القرآن

كلية الشريعة – جامعة القصيم

المستخلص :

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه ومعناه، وقد تعددت أوجه الاعجاز فيه، ومن أبرزها الاعجاز البياني واللغوي فيه، بما فيه من الفصاحة والبلاغة والبيان، ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وهو الهداية الكاملة للبشرية. لما أثبت أن هذا القرآن ليس بكلام بشر، وأنه تنزيل من حكيم مجيد، نزل به الروح الأمين على النبي المصطفى الصادق الأمين ليكون للعالمين هادياً ومعلماً، بشيراً ونذيراً. تكمن أهمية دراسة أساليب الاحتراس والاعتراض في القرآن الكريم في تعميق فهمنا للنص القرآني والكشف عن معانيه الدقيقة والغامضة. هذه الأساليب تضفي على النص جمالاً وبلاغة، كما أنها تُبرز دقة التعبير القرآني وتساعد على فهم المقاصد والأهداف التي يسعى القرآن إلى تحقيقها، إظهاراً لوجه الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : الاحتراس – الاعتراض – القرآن الكريم

Caution and objection in the verses of the Holy Qur’an (an analytical study)

Abstract:

The Holy Qur'an is the word of God Almighty revealed to our Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace. It is miraculous in its wording and meaning. Its miraculous aspects are numerous, the most prominent of which are its rhetorical and linguistic miraculousness, including its eloquence, rhetoric, and clarity, the likes of which humans are incapable of producing. It is the complete guidance for humanity. By proving that this Quran is not the words of a human being, but rather a revelation from a Wise, Glorious One, revealed by the Trustworthy Spirit to the Chosen, Truthful, and Trustworthy Prophet, to be a guide and teacher to the worlds, a bearer of good tidings and a warner. The importance of studying the methods of caution and objection in the Holy Quran lies in deepening our understanding of the Quranic text and uncovering its subtle and mysterious meanings. These techniques add beauty and eloquence to the text, highlighting the precision of the Quranic expression and helping us understand the aims and objectives it seeks to achieve, demonstrating the linguistic and rhetorical miraculous nature of the Holy Quran.

Keywords: Caution - Objection - Holy Quran

مقدمة:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه ومعناه، وقد تعددت أوجه الاعجاز فيه، ومن أبرزها الاعجاز البياني واللغوي فيه، بما فيه من الفصاحة والبلاغة والبيان، ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وهو الهداية الكاملة للبشرية. لما أثبت أن هذا القرآن ليس بكلام بشر، وأنه تنزيل من حكيم مجيد، نزل به الروح الأمين على النبي المصطفى الصادق الأمين ليكون للعالمين هادياً ومعلماً، بشيراً ونذيراً.

ومن أساليب البلاغة القرآنية البديعة التي تضفي على النص القرآني جمالاً وإعجازاً هي أساليب الاحتراس والاعتراض، وهما من الظواهر البلاغية التي تساعد في فهم النص القرآني وتوضيح معانيه، والتي سنتناولها بالتفصيل في هذه الدراسة.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراسة أساليب الاحتراس والاعتراض في القرآن الكريم في تعميق فهمنا للنص القرآني والكشف عن معانيه الدقيقة والغامضة. هذه الأساليب تضفي على النص جمالاً وبلاغة، كما أنها تُبرز دقة التعبير القرآني وتساعد على فهم المقاصد والأهداف التي يسعى القرآن إلى تحقيقها، إظهاراً لوجه الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.

كما أن دراستها أيضاً تُثري معرفتنا باللغة العربية وأساليبها البلاغية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أمور منها:

- تعريف أسلوبي الاحتراس والاعتراض وبيان الفرق بينهما.

- توضيح أنواع الاحتراس والاعتراض وبيان أغراضهما البلاغية ووجوه الاعجاز فيهما.

- بيان أهمية ودور الاحتراس والاعتراض في التفسير وبيان المعنى.

- الوقوف على بعض آيات القرآن الكريم التي تحتوي على هذين الاسلوبين، مع ذكر بعض ما جاء من أقوال المفسرين والبلاغيين في كشف جمال وبلاغة القرآن.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو : المنهج الوصفي، والتحليلي ، حيث أنهما المناسبان لدراسة أسلوبي الاحتراس والاعتراض من الجوانب النظرية لهما ، ثم دراسة الجوانب التطبيقية وتحليليها بما يتناسب مع أهداف الدراسة وتحقيق أغراض الاحتراس والاعتراض البيانية والبلاغية. تعتمد منهجية البحث في دراسة الاحتراس والاعتراض في القرآن الكريم على عدة خطوات أساسية، منها:

1. جمع الآيات القرآنية التي تحتوي على أسلوبي الاحتراس والاعتراض.
2. تصنيف هذه الآيات حسب نوع الأسلوب المستخدم (احتراس أو اعتراض).
3. تحليل السياق اللغوي والموضوعي لكل آية.
4. دراسة أقوال المفسرين وعلماء البلاغة حول هذه الآيات.
5. وتوثيق النصوص والشواهد، والأدلة من القرآن الكريم أو السنة الشريفة.
6. إسناد كل قول أو رأي إلى صاحبه.
7. مقارنة استخدام هذه الأساليب في مختلف السور والمواضيع القرآنية.

الدراسات السابقة:

هنالك الكثير من الدراسات التي تناولت اسلوب الاحتراس والاعتراض لكنها اختلفت في منهجيتها وموضوعيتها، حيث تميزت كل دراسة عن الأخرى وتفردت بنتائج تختلف عن الاخرى، لأنها تناولت الموضوع من جانب يختلف عن الاخر. منها على سبيل المثال:

١. خليفة، قاسم إسماعيل علي، الاحتراس في ضوء القرآن الكريم: دراسة بلاغية تطبيقية. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة العدد ١٦ (١٩٩٨) صفحات ٥٣٣ - ٥٩٦. جاء فيها تعريف الاحتراس في اللغة واصطلاح البلاغيين والفرق بينه وبين التكميل والتتميم والانفصال من أساليب بلاغية. ثم عرضت نماذج من الاحتراس في ضوء القرآن الكريم وهو أكثر ما تميزت به هذه الدراسة.

٢. حسين، محمد عبد الله أحميدة، فهم المعني بين الاحتراس والاعتراض، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، السنة الثالثة العدد ١٠ (٢٠١٨) صفحة ٥٩- ٧٢.

تميزت هذه الدراسة بتفصيل معاني الاحتراس والاعتراض ووجوههما واغراضهما البلاغية.

٣. قريرة، عبد الله مهاجر خليفة، الاحتراس في القرآن الكريم وتنوع دلالاته البلاغية، مجلة جامعة الزيتونة، العدد ٣٦ (٢٠٢٠م) صفحة ١٨- ٣٥. عرضت هذه الدراسة للتعريف باسلوب الاحتراس والفرق بينه وبين اسلوب التتميم والتكميل وغيرها. وقد تميزت بالتفصيل لأنواع الاحتراس في القرآن الكريم مع الأمثلة، كما ذكرت الاحتراس في الحديث النبوي والشعر العربي.

أما هذه الدراسة فقد جاءت للتعريف باسلوبي الاحتراس والاعتراض والمقارنة بينهما وتوضيح الفروق بينهما. ثم بيان أنواعهما واغراضهما. وما تميزت به هذه الدراسة عن سابقاتها هو بيان أهمية الاسلوبين في التفسير وبيان المعني وإبراز الوجه البلاغي والاعجازي لهما من حيث الأمثلة والشواهد لذلك من آيات القرآن الكريم.

خطة البحث:

جاءت خطة هذا البحث مكونة من مقدمة وعدد من المباحث وخاتمة، بيانها كالآتي:

- **المقدمة**، وقد شملت أهمية البحث أهدافه ومنهجه وأهم الدراسات السابقة.

- **المبحث الأول**: تم فيه بيان مفهوم الاحتراس والاعتراض لغة واصطلاحاً، وبيان الفرق بينهما.

- **المبحث الثاني**: وهو عرض لأنواع الاحتراس والاعتراض. فجاء فيه أولاً الحديث عن أنواع الاحتراس وهي: (الضدي - التكميلي - التهكمي - المترقي)

ثم بيان أنواع الاعتراض، منها: (الاعتراض التفسيري -الاعتراض الانشائي -الاعتراض التعليلي)

- أما **المبحث الثالث** فقد جاء لبيان أهمية الاحتراس والاعتراض في التفسير وبيات المعني.

- ثم **الخاتمة**، وقد شملت ملخص البحث وأهم النتائج ومقترح التوصيات.

-وفي آخر البحث ألحقت قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم الاحتراس والاعتراض، والفرق بينهما:

أولاً: تعريف الاحتراس في اللغة والاصطلاح:

الاحتراس في اللغة مأخوذ من مادة (ح-ر-س)، والتي تدل على الحفظ والصيانة. جاء في لسان العرب" :الحَرْسُ: الحِفْظُ والصِّيانةُ .1 وَقَالَ اللَّيْث: (الحَرَسُ هم الحُرَّاسُ والأَحْرَاسُ، وَالْفِعْل حَرَس يَحْرُس، وَالْفِعْل اللَّازِم يَحْتَرِسُ كَأَنَّهُ يَحْتَرِزُ. قلتُ: وَيُقَال حارِسٌ وحَرَسٌ لِلْجَمِيع، كَمَا يُقَال: خادِمٌ وخَدَمٌ، وعاسٌّ وعَسَسٌ.)2

والحَرْس، بالفَتْح: الدَّهْر. وَقيل: وَقْت من الدهرِ دونَ الحُقْبِ، وَهُوَ مَجاز... والحَريسَة: جِدارٌ من حجارةٍ يُعمَلُ للغنَمِ لأجلِ الحِراسةِ لَهَا والحِفظ. 3. والاحتراس أَن تُؤْخَذ الشَّاة من المراعي وَيُقَال للشاة المسروقة من الْمرْعَى حريسة وَمِنْه: لَا قطع فِي حريسة الْجَبَل. وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذا كَانَت فِي الْجَبَل فَمَا وصلت إِلَى مراحها فَلَا قطع عَلَى سارقها فَإِذا أواها المراح كَانَت فِي حرز وَلها حَافظ.4

أما في الاصطلاح ، فالاحتراس هو أن يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يُدخل عليه لوم أو عيب، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه منه،5 كما ذكره القرطاجني بقوله: "هو أن يحتاط المتكلم في كلامه، فيورد ما يدفع عنه توهم النقص أو الاعتراض"6

الاحتراس: أو التكميل: اسمان أُطْلِقا على مسمًّى واحد، هو زيادة إطنابيّةٌ في الكلام يَدْفَع بها المتكلّم إيهاماً اشتمل عليه كلامه.
ويكون هذا الاحتراس حينما يأتي المتكلم بكلام يوهم خلاف ما يُريد، ويأتي بَعْدَه بكلامٍ يدفع به ذلك الإيهام، ومثل هذا يُوجَد في أرفع الكلم لتحقيق غرضٍ بلاغي، وقد يوجد في كلام أهل الخطب الارتجالية على سبيل التدارك لما جاء في كلامهم ففطنوا إليه فاحترسوا تكميلاً. 7

ثانياً: تعريف الاعتراض في اللغة والاصطلاح:

الاعتراض مشتق من مادة (ع-ر-ض)، والتي تدل على التدخل والحيلولة بين شيئين. جاء في لسان العرب" : وعَرَضَ الشيءُ يَعْرِضُ واعترَضَ: انتَصَبَ ومَنَعَ وَصَارَ عارِضاً كالخشَبَةِ المنتصبةِ فِي

---

1 . ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار صادر، بيروت، 1414هـ، مادة: "حرس، 48/6

2 . الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى،2001م،4/ 173

3 . الحسيني، أبو الفيض محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،534/15

4 . الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، غريب الحديث، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1405 – 1985، 1/ 204

5 . الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار- بيروت، الطبعة الأخيرة 2004م،2/ 486

6 . حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، بيروت، 1966م، ص 278.

7 . الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م،2/ 84

النَّهْرِ وَالطَّرِيقِ وَنَحْوِهَا تَمْنَعُ السَّالِكِينَ سُلوكَها. وَيُقَالُ: اعتَرَضَ الشيءُ دُونَ الشيءِ أَي حَالَ دُونَهُ. " 1

عرُضَ الشيء يعرُضُ عرضا، فهو عريض. والعَرْضُ مجزوماً: خلاف الطول. وفلان يَعْرِضُ علينا المتاع عَرْضاً للبيع والهبة ونحوهما. وعرَّضته تعريضاً، وأعرضْتُهُ إعراضاً، أي: جعلته عريضاً. وعَرَضْتُ الجند عرض العين، أي: أمررتهم علي لأنظُرَ ما حالهم، ومن غاب منهم. واعترضت: وعَرَضْتُ القوم على السيف عرضاً، أي: قتلاً، أو على السوط: ضرباً. وعرضت الكتاب والقرآن عرضاً. وعَرَض الفرس في عدوه إذا مر عارضا على جنب واحد، يَعْرِضُ عَرْضاً. 2

الِاعْتِرَاض: الْمَنْع، وَالْأَصْل فِيهِ أَن الطَّرِيق إِذا اعْترض فِيهِ بِنَاء أَو غَيره منع السابلة من سلوكه

وَاعْترض الشَّيْء: صَار عارضا كالخشبة المعترضة فِي النَّهر. وَاعْترض الشَّيْء دون الشَّيْء: حَال دونه ، وَاعْترض لَهُ بِسَهْم: أقبل بِهِ قبله فَرَمَاهُ فَقتله.3

وكذا جاء تعريفه في كتاب البلاغة العربية بقوله: (الاعتراض في اللّغة: الدّخول بين الشَّيْئَيْن حتى يكون الداخل المعترضُ فاصلاً بينهما، ويُسَّمى "عَارِضاً" أي: حائلاً ومانعاً بينهما، ومنه أُخِذ الاعتراض في البلاغة والنحو.)4

أما تعريفه في **الاصطلاح البلاغي**، فالاعتراض هو" :أن يؤتى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب بين كلامين متصلين معنى، وذلك لنكتة بلاغية كالتفسير، أو التقوية، أو التوكيد، دون أن تؤثر على البناء الأصلي للجملة.5

قال القزويني: (الاعتراض هو ما يُؤتى به في أثناء الكلام لزيادة الإيضاح أو التأكيد أو تحسين الأسلوب، بحيث لا يخلّ بالسياق الأصلي) 6"

وقال ابن الأثير" : (الاعتراض إدخال كلام بين كلامين مرتبطين معنىً، ويكون فائدته إما التفسير، أو التقوية، أو التأكيد) [7]

والاعتراض عِنْد أهل البديع: هُوَ أَن يَقع قبل تَمام الْكَلَام شَيْء يتم الْغَرَض بِدُونِهِ وَلَا يفوت بفواته، وَسَماهُ قوم الحشو.

1 . ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 168/7

2 . الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1/ 271

3 . الحسيني، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص145

4 . الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، مرجع سابق، 2/ 80

5 . السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، 1987م، ص 478

6. القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، 1991م، ص 312.

7 . ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، ج2، ص 89

وَجوز وُقُوع الِاعْتِرَاض فرقة فِي آخر الْكَلَام، لَكِن كلهم اتَّفقُوا على اشْتِرَاط أَن لَا يكون لَهَا مَحل من الْإِعْرَاب؛ والنكتة فِيهِ إِفَادَة التقوية أَو التَّشْدِيد أَو التحسين أَو التَّنْبِيه أَو الاهتمام أَو التَّنْزِيه أَو الدُّعَاء أَو الْمُطَابقَة أَو الاستعطاف أَو بَيَان السَّبَب لأمر فِيهِ غرابة أَو غير ذَلِك.1

ثالثاً: الفرق بين الاحتراس والاعتراض:

مما سبق من تعريفات لغوية واصطلاحية للاحتراس والاعتراض، يمكن أن نستخلص الفروق بينهما فيما يلي:

1- من حيث **التعريف**: الاحتراس هو: إضافة جملة تزيل التوهم أو سوء الفهم المحتمل. أما الاعتراض فهو: إدخال جملة تفسيرية أو تعليلية داخل الكلام دون أن تؤثر على السياق.

2- من حيث التأثير على السياق: الاحتراس جزء أساسي من بناء المعنى، يؤثر على الدلالة بشكل مباشر. أما الاعتراض فلا يغيّر المعنى الأصلي للجملة، لكنه يضيف إليها فائدة بلاغية.

يقول أبو المظفر : (اعلم أن الاعتراض هو: أن تذكر في البيت جملة معترضة، لا تكون زائدة، بل يكون فيها فائدة.)2

3- من حيث الموضع في الكلام: الاحتراس يأتي بعد فكرة قد تحتمل لبسًا أو توهمًا، فيعمل على تصحيحها.بينما يقع الاعتراض بين جملتين متصلتين في المعنى، لكنه لا يؤثر على ترابطهما الأساسي.

4- من حيث الغرض: غرض الاحتراس هو: الحماية من سوء التأويل ورفع اللبس. أما الاعتراض فالغرض منه: الإيضاح، التأكيد، أو التعليل.

أوضح الزركشي أن" :الاحتراس في القرآن يُستخدم لتصحيح أي لبس قد ينشأ عن ظاهر النص، أما الاعتراض فيأتي لدعم الحجة وتقوية البيان) [3]"

ويؤتى بالاعتراض لدواعي بلاغية منها ما يلي:

- **التنزيه والتعظيم**. كقوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) النحل: ٥٧. قال السمعاني: {ويجعلون لله الْبَنَات} هَذَا معنى قَوْلهم: إن الْمَلَائِكَة بَنَات الله. وَقَوله: {سُبْحَانَهُ} هُوَ بَيَان تنزيهه عَن قَوْلهم.)4
- **الدّعاء:** كقول الله عزَّ وجلَّ: (لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إِن شَآءَ الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ ...} الفتح: الآية: 27.

1 . الحسيني، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، سابق، ص145
2 . الكلبي أبو المظفر، مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر البديع في نقد الشعر، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة، ص 130.
3 . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، 1980م، ج2، ص 228
4 . السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد، تفسير القرآن المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م، ص 273

عبارة: {إنْ شاء الله} جملة اعتراضيّة في أثناء كلام مُتَّصلٍ في معناه، للمبَادرة إلى تعليم المؤمنين أن يقولُوا في كلّ ما يرجون وقوعه أو يريدون إيقاعه مستقبلاً. "إنْ شاء الله" وتعليمهم كيف يكون إدْخال هذا التعليق على مشيئة الله في كلامهم. [1]

- **التنبيه على أمْر**: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة: 104. جاء الاعتراض في ﴿وَاسْمَعُوا﴾ بين النهي عن قول "راعنا" والأمر بقول "انظرنا"، والهدف هو التأكيد على وجوب الامتثال والتنبيه إلى أهمية الاستماع والطاعة.

كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: {رَاعِنَا} أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحاً، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن فقال: {وَقُولُوا انْظُرْنَا} فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور، {وَاسْمَعُوا} لم يذكر المسموع، ليعم ما أمر باستماعه، فيدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة، لفظا ومعنى واستجابة، ففيه الأدب والطاعة.[2]

- **التقرير في نفس السامع.** كقوله تعالى: (تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) يوسف: ٧٣، فجملة لَقَدْ عَلِمْتُمْ اعتراض، والمراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة.

روي: أن إخوة يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة في الرحال وتحرجوا من أخذ الطعام بلا ثمن فلذلك قالوا: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أي لقد علمتم منا التحري وروي أنهم كانوا قد اشتهروا في مصر بصلاح وتعفف، وكانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زرع الناس، فلذلك قالوا: لقد علمتم ما جئنا لفساد وما نحن أهل سرقة.3

- **قصد التأكيد**، كقوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) الواقعة: ٧٥، ٧٦ وفيها اعتراضان، اعتراض بقوله: وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ بين القسم وجوابه، واعتراض بقوله لَوْ تَعْلَمُونَ بين الصفة والموصوف.4 قال الشوكاني: (قوله: (فَلا أُقْسِمُ) ذهب جمهور المفسرين إلى أَنَّ «لَا» مَزِيدَةٌ لِلتَّوْكِيدِ، وَالْمَعْنَى: فَأُقْسِمُ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ بَعْدَ (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ)5
- انتهاز الفرصة المواتية، والمبادرة لبيان أمْرٍ ذي أهميّة. إلى غير ذلك.

---

1 . الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، سابق، 82/2

2 . السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تفسير تيسير الكريم الرحمن، لمحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م (ص: 61)

3 . ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار، الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ ،3/ 265

4 . أنظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ،468/4

5 . الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 5/ 193

ووجه حُسْن الاعتراض اهْتِبَالُ الْفُرْصَةِ المواتية للإفادة والبيان، أو التعبير عمّا في النفس، مع مجيئه مجيء غير المترقّب، فيكونُ كالشيء السّارّ الذي يأتي الإنسانَ من حيْثُ لا يحتسب.[1]

يمكن أن نجمل الأغراض البلاغية للاحتراس بما يلي:

1. الاحتياط، وصيانة الكلام عن احتمال الخطأ وفساد المعنى.
2. إكمال المعنى، ودفع التوهم (الايهام) الموجب للعيب والنقص في الكلام.
3. المبالغة في المعنى المراد من مدحٍ أو ذمٍ، أو غيرها من المعاني.
4. تحسين الكلام وتجميله من خلال هذه الزيادة الإطنابية.

1 . الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، مرجع سابق، 2/ 81-82

المبحث الثاني: أنواع الاحتراس والاعتراض:

أولاً: أنواع الاحتراس:

ذكر البلاغيون والمفسرون أنواع وأقسام عديدة للاحتراس، ونذكر هنا بعض ما جاء منها في القرآن الكريم، مقتصرين على: الاحتراس الضدي والتكميلي والتهكمي والمترقي، وهذا تفصيلها:

1- الاحتراس الضدي:

أي أن يكون لفظ الاحتراس ضد لفظ المتحرس منه. وذلك لإزالة أي التباس قد يقع في ذهن السامع. مثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ الزخرف: 76

جاءت الجملة ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ لتنفي الظلم عن الله عز وجل، وقد يُوهم هذا النفي بأنهم لم يُظلموا مطلقًا، فجاءت الجملة الاحتراسية ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ لتوضيح أن سبب العذاب ليس ظلمًا من الله، بل هو بسبب ظلمهم لأنفسهم.

هنا الاحتراس الضدي واضح، لأن الجملة الثانية تثبت ما هو مضاد لمفهوم الجملة الأولى :فالله لم يظلمهم، بل هم الظالمون. وقد أوضح هذا ابن عاشور في تفسيره بقوله: ("وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ " جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ فِي حِكَايَةِ أَحْوَالِ الْمُجْرِمِينَ قُصِدَ مِنْهَا نَفْيُ اسْتِعْظَامِ مَا جُوِّزُوا بِهِ مِنَ الْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ وَنَفْيِ الرِّقَّةِ لِحَالِهِمُ الْمَحْكِيَّةِ بِقَوْلِهِ: وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ [الزخرف: 75].

وَالظُّلْمُ هُنَا: الِاعْتِدَاءُ، وَهُوَ الْإِصَابَةُ بِضُرٍّ بِغَيْرِ مُوجِبٍ مَشْرُوعٍ أَوْ مَعْقُولٍ، فَنَفْيُهُ عَنِ اللَّهِ فِي مُعَامَلَتِهِ إِيَّاهُمْ بِتِلْكَ الْمُعَامَلَةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ جَزَاءً عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِقَوْلِهِ: "وَلكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ" أَيِ الْمُعْتَدِينَ إِذِ اعْتَدَوْا عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ مِنَ الِاعْتِرَافِ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَعَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ كَذَّبُوهُ وَلَمَزُوهُ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" فِي سُورَةِ لُقْمَانَ [13] .)[1]

كما جاء الاحتراس الضدي أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ مريم: 62. هنا جاء الاحتراس بلفظ مضاد، حيث إن "**سلامًا** "مضادة لـ **"لغوًا"**، وكأن المعنى: إن كان هناك "كلام"، فهو ليس لغوًا بل سلامًا.

وَجُمْلَةُ لَا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً حَالٌ مِنْ عِبادَهُ. وَاللَّغْوُ: فُضُولُ الْكَلَامِ وَمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ. وإِنْفَاؤُهُ كِنَايَةٌ عَنِ انْتِفَاءِ أَقَلِّ الْمُكَدِّرَاتِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً [الغاشية: 11]، وَكِنَايَةٌ عَنْ جَعْلِ مُجَازَاةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ بِضِدِّ مَا كَانُوا يُلَاقُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَلَغْوِهِمْ. وَقَوْلُهُ إِلَّا سَلاماً اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَهُوَ مَجَازٌ مِنْ تَأْكِيدِ الشَّيْءِ بِمَا يُشْبِهُ ضِدَّهُ .2

2- الاحتراس التكميلي:

أي أن يكون لفظ الاحتراس متمماً ومكملاً للمعنى. بمعنى أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون إذا لشعر وأغراضه، ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل، فيكمله بمعنى آخر، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ورأى مدحه بالاقتصار عليها

1 . ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ ،25/ 258

2 . ابن عاشور، المرجع السابق، 16/ 137

دون الكرم مثلاً غير كامل، فكمله بذكر الكرم، أو بالبأس دون الحلم، وما أشبههه ، وقد جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى: " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " المائدة : 54 فانظر هذه البلاغة، فإنه سبحانه وتعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين وإن كانت صفة مدح، إذ وصفهم بالرياضة لأخواهم المؤمنين والانقياد لأمورهم كان المدح غير كامل، فكمل مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين فأتى بوصفهم بالامتناع منهم، والغلبة لهم.1 كما أوضح الجرجاني هذا بقوله : (فإنه تعالى لو اقتصر على وصفهم بأذلةٍ على المؤمنين لتوهم أن ذلك لضعفهم، وهذا خلاف المقصود، فأتى على سبيل التكميل بقوله: {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ})2

كما جاء من هذا النوع في النظم الكريم قول الله تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} (النساء: 95) فقوله جل وعلا: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} احتراس يدفع توهم أن القاعد بعذر داخل في مفهوم عدم الاستواء المذكور. ومثله قوله تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} (النمل: 12) فقوله: {مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} احتراس من نحو البهق والبرص. 3وجاء في تفسير فتح البيان قوله: (من غير سوء) أي عيب كنى به عن البرص، ويسمى هذا عند أهل البيان الاحتراس، وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد، وذلك أن البياض قد يراد به البرص والبهق، فأتى بقوله: (من غير سوء) نفياً لذلك. والمعنى تخرج بيضاء ساطعاً نورها تضيء بالليل والنهار كضوء الشمس، تغشي البصر من غير برص، وبه قال ابن عباس.4

3– الاحتراس التهكمي:

هو نوع من الاحتراس الذي يُستخدم للسخرية من المخاطب أو بيان بطلان حجته بأسلوب ساخر، وذلك بإضافة قيد يُوحي بأن المعنى المقصود عكس ما قد يفهمه المخاطب. أي أن يكون في لفظ الاحتراس تهكماً وسخرية.

مثاله في القرآن قوله عز وجل: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * **لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ** * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ}. سورة الواقعة الآيات 41-46

---

1 . العدواني عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص: 357

2 . الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م، ص13.

3 . مناهج جامعة المدينة العالمية، كتاب: البلاغة 2 – المعاني، كود المادة: LARB4103، المرحلة: بكالوريوس، جامعة المدينة العالمية، ص:518

4 . الغنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412ه، 226/8

المراد بأصحاب الشمال [هم:] أصحاب النار، والأعمال المشئومة. فذكر [الله] لهم من العقاب، ما هم حقيقون به، فأخبر أنهم {فِي سَمُومٍ} أي: ريح حارة من حر نار جهنم، يأخذ بأنفاسهم، وتقلقهم أشد القلق، {وَحَمِيمٍ} أي: ماء حار يقطع أمعاءهم. {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ} أي: لهب نار، يختلط بدخان. {لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ} أي: لا برد فيه ولا كرم، والمقصود أن هناك الهم والغم، والحزن والشر، الذي لا خير فيه، لأن نفي الضد إثبات لضده.1 ففي قوله «لا بارد ولا كريم» فن الاحتراس ، وهنا لمّا قال وظل من يحموم أوهم أن الظل ربما جلب لهم شيئاً من الراحة بعد التعب فنفي عنه صفتي الظل يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال التي تنشر البرد والروح وتجلب النفع لمن يأوي إليه ويتفيأ تحته ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه فقوله لا بارد ولا كريم صفتان للظل لا لقوله من يحموم. 2

قال الزمخشري: (لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ نفى لصفتي الظل عنه، يريد: أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال: سماه ظلا، ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه. والمعنى أنه ظل حارّ ضارّ إلا أنّ للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات. وفيه تهكم بأصحاب الشأمة، وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة.) [3]

كما أوضح ابن عاشور هذا الأسلوب التهكمي في الآية، في تفسيره بقوله: (وَوَصَفَ ظِلٍّ بِأَنَّهُ مِنْ يَحْمُومٍ لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ ظِلُّ دُخَّانِ لَهَبِ جَهَنَّمَ، وَالدُّخَّانُ الْكَثِيفُ لَهُ ظِلٌّ لِأَنَّهُ بِكَثَافَتِهِ يَحْجُبُ ضَوْءَ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ مِنَ الدُّخَانِ ظِلَّهُ لِمُقَابَلَتِهِ بِالظِّلِّ الْمَمْدُودِ الْمُعَدِّ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ فِي قَوْلِهِ: وَظِلٍّ مَمْدُودٍ [الْوَاقِعَة: 30]، أَيْ لَا ظِلَّ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ سِوَى ظِلِّ الْيَحْمُومِ. وَهَذَا مِنْ قَبِيلِ التَّهَكُّمِ.

وَلِتَحْقِيقِ مَعْنَى التَّهَكُّمِ وُصِفَ هَذَا الظِّلُّ بِمَا يُفِيدُ نَفْيَ الْبَرْدِ عَنْهُ وَنَفْيَ الْكَرَمِ، فَبَرْدُ الظِّلِّ مَا يَحْصُلُ فِي مَكَانِهِ مِنْ دَفْعِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، وَكَرَمُ الظِّلِّ مَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ فِي الظِّلَالِ مِثْلَ سَلَامَتِهِ مِنْ هُبُوبِ السَّمُومِ عَلَيْهِ، وَسَلَامَةِ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَظِلُّهُ مِنَ الْحَشَرَاتِ.)[4]

وهنالك الكثير من الآيات في القرآن الكريم يظهر فيها هذا الأسلوب التهكمي، وقد جمع بعضها الامام الشعراوي في تفسيره، حيث قال: ({ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العزيز الكريم}، هو تهكم شديد، وهو في ذلك كقول الحق تبارك وتعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كالمهل يَشْوِي الوجوه} [الكهف: 29]. وهم ساعةَ يسمعون كلمة {يُغَاثُواْ} يفرحون؛ لأن عطشهم شديد وهم قد استغاثوا فقيل لهم إنهم سيغاثون، وهذا خبر سار بالنسبة لهم، ولكن الإغاثة تأتيهم بماء يشوي وجوههم، فهل هذه إغاثة؟ إنه تهكم عليهم وزيادة في عذابهم، كذلك قول الحق سبحانه وتعالى هنا: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ويصف لنا الحق هذا العذاب الأليم الذي سيتعرضون له،

1 . السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تفسير تيسير الكريم الرحمن، لمحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م، ص 834

2 . درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ (9/ 436)

3 . الزمخشري، الكشاف، (4/ 463

4 . ابن عاشور، التحرير والتنوير ،27/ 304

ويُبيّن لنا خبر المغيَّب عنَّا في الآخرة بصورة مُحَسَّة لنا فيقول: {يَوْمَ يحمى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فتكوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ...} التوبة 35) [1]

4-الاحتراس المترقي:

وهو أسلوب بلاغي يُستخدم في القرآن الكريم، حيث يأتي الاستدراك بعد كلام يوحي بمعنى معين، ثم يُؤتى بما يرفع مستوى الفهم إلى درجة أعلى. ويُستخدم هذا الأسلوب لدفع توهمٍ قد يرد في ذهن السامع، أو لزيادة التوضيح، أو لإبراز فضلٍ أو حكمة معينة، **أي** يكون لفظ الاحتراس مترقياً عن اللفظ المحترس منه وأعلى درجة**.**

ومثاله ما جاء في القران الكريم من قول الله عز وجل: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ) سورة يونس: 26. هذه الآية بيان لحسن عاقبة الذين استجابوا لدعوته، واتبعوا صراطه المستقيم. أي: للمؤمنين الصادقين الذين قدموا في دنياهم الأعمال الصالحة، المنزلة الحسنى، والمئوية الحسنى وهي الجنة، ولهم زيادة على ذلك التفضل من الله- تعالى- عليهم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وتفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم، مأثور عن جمع من الصحابة منهم أبو بكر، وعلى بن أبى طالب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري وغيرهم- رضى الله عنهم.[2]

ومستندهم في ذلك الأحاديث النبوية التي وردت في هذا الشأن والتي منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن صهيب- رضى الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلا هذه الآية لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ ...وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا. يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ألم ببيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم" [3]

وجاء أيضاً في تفسير قوله: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) أن الذين أحسنوا هم المؤمنون الذين آمنوا بالبعث والنشور والجزاء من الثواب والعقاب وآمنوا أولا بلقاء اللَّه.

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا)، (اللام) للملك أو الاختصاص، أي يعطيهم اللَّه الجزاء عطاء موفورا لأجل إحسانهم. (الْحُسْنَى) مؤنث أحسن، أي يعطيهم اللَّه الجزاء الأحسن، أي الذي بلغ أعلى درجات الكمال. (وَزِيَادَةٌ) للإشارة إلى أن عطاءَهم ليس بمقدار إحسانهم؛ لأنه سبحانه المتفضل المكرم الذي لَا يعطي بمقدار ما قُدِّم بل إنه كما قال تعالى: (. . . وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ. . .) الشورى :26. [4]

---

1 . الشعراوي، محمد متولي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997م، 8/ 5067

2 . طنطاوي، محمد سيد، تفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى يناير 1997، 7/ 58

3 . النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 297، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1/ 163

4 . أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد /دار النشر: دار الفكر العربي ،7/ 3552

جاء الاحتراس المترقي في الآية أولاً (دفع توهم النقص)، عندما قال الله "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحسنى"، قد يُفهم أن جزاءهم هو مجرد دخول الجنة، لكن جاء الاستدراك بعبارة "وَزِيَادَةٌ"، مما يدل على أن هناك نعيمًا يفوق مجرد دخول الجنة، وهو رؤية الله سبحانه وتعالى، وهذا ارتقاء في المعنى.

ثم كان الاحتراس في (التدرج في الوعد): "الحسنى" هي الجنة، وهذا بحد ذاته أعظم جزاء.

"وَزِيَادَةٌ" تعني أمرًا فوق الجنة، وهو رؤية الله، وهذا يدل على أن النعيم في الجنة ليس محصورًا بالماديات، بل هناك نعيم روحي أعظم.

واحتراس آخر في الآية، وهو (استبعاد أي ظن بالنقص في الجزاء): قد يتبادر إلى الذهن أن الجنة تكفي كجزاء، لكن الله أضاف "وَزِيَادَةٌ" لتأكيد أن الجزاء ليس مجرد الحد الأدنى، بل هو فوق ما يتخيله الإنسان.

هذا الارتقاء يوضح أن رحمة الله وكرمه ليس لها حد، وهو ما يزيل أي توهم بأن الجزاء محدود أو مقصور على الجنة فقط.

ثانياً: أنواع الاعتراض:

تنوعت أوجه وأنواع الإعراض، وفي هذا المبحث نأخذ بعض منها، ونقتصر على الاعتراض التفسيري والانشائي والتعليلي، ونعرض فيها بعض الأمثلة من آيات القرآن لكل نوع.

1- الاعتراض التفسيري:

وهو الذي يأتي لتفسير أو توضيح ما قبله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ. ﴾ البقرة: 102.

الاعتراض في هذه الآية في قوله: (وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ) وهو اعتراض تفسيري، لأنه جاء لرفع اللبس وتوضيح أن سليمان عليه السلام لم يكن له علاقة بالكفر أو السحر، بل كان ما تتلوه الشياطين افتراءً عليه

قال الزمخشري: (وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ: تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفراً وَلكِنَّ الشَّياطِينَ هم الذين كَفَرُوا باستعمال السحر وتدوينه يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ يقصدون به إغواءهم وإضلالهم وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ عطف على السحر، أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين. وقيل: هو عطف على ما تتلو، أي واتبعوا ما أنزل. هارُوتَ وَمارُوتَ عطف

بيان للملكين علمان لهما، والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس. من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً، ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمناً.) 1

وأكد الرازي أن هذه الجملة الاعتراضية جاءت للدلالة على براءة سليمان عليه السلام من السحر، ولتصحيح الفهم الذي قد يتبادر إلى الأذهان ، حيث أوضح هذا في تفسيره بقوله : (أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ فَهَذَا تَنْزِيهٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْكُفْرِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ نَسَبُوهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالسِّحْرِ: قِيلَ فِيهِ أَشْيَاءُ، أَحَدُهَا: ما روي عن بعض أخبار الْيَهُودِ أَنَّهُمْ قَالُوا: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ يَزْعُمُ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ نَبِيًّا وَمَا كَانَ إِلَّا سَاحِرًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَثَانِيهَا: أَنَّ السَّحَرَةَ مِنَ الْيَهُودِ زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَخَذُوا السِّحْرَ عَنْ سُلَيْمَانَ فَنَزَّهَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ. وَثَالِثُهَا: أَنَّ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّ قِوَامَ مُلْكِهِ كَانَ بِالسِّحْرِ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِنْهُ لِأَنَّ كَوْنَهُ نبياً ينافي كونه ساحراً كافراً، [أما قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا] ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الَّذِي بَرَّأَهُ مِنْهُ لَاصِقٌ بِغَيْرِهِ فَقَالَ: وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُشِيرُ بِهِ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِمَّنِ اتَّخَذَ السِّحْرَ كَالْحِرْفَةِ لِنَفْسِهِ وَيَنْسِبُهُ إِلَى سُلَيْمَانَ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى مَا بِهِ كَفَرُوا فَقَدْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمَ أَنَّهُمْ مَا كَفَرُوا أَوَّلًا بِالسِّحْرِ فَقَالَ تَعَالَى: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ.)2

2- الاعتراض الإنشائي:

وهو أسلوب بلاغي يظهر في القرآن الكريم عندما يُدرَج أسلوب إنشائي (مثل الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء) داخل سياق خبري، بهدف تحقيق غاية بلاغية معينة. كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾)البقرة: 139 .جاء الاستفهام الإنكاري »أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ «داخل سياق خبري ليؤكد خطأ احتجاجهم، ويزيد من حدة الإنكار.[3]

ومثال آخر في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) البقرة: 104، حيث الأمر باسمعوا بعد الأمر بقولوا أنظرنا لدلالة تأكيد الأمر ووجوب السمع والطاعة.

جاء في التفسير: لا تَقُولُوا: راعِنا نهي يقتضي التحريم، سدا للذرائع، حتى لا يتخذ اللفظ المحتمل ذريعة لشيء قبيح. وقوله سبحانه: وَقُولُوا: انْظُرْنا أمر للمؤمنين أن يخاطبوه صلّى الله عليه وسلّم بالإجلال. وقوله عز وجل: وَاسْمَعُوا يفيد وجوب السماع لما أمر به ونهى جل وعز.4
وقال ابن عاشور: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَاسْمَعُوا أُرِيدَ بِهِ سَمَاعٌ خَاصٌّ وَهُوَ الْوَعْيُ وَمَزِيدُ التَّلَقِّي حَتَّى لَا يَحْتَاجُوا إِلَى طَلَبِ الْمُرَاعَاةِ أَوِ النَّظَرِ وَقِيلَ: أَرَادَ مِنِ (اسْمَعُوا) امْتَثِلُوا لِأَوَامِرِ الرَّسُولِ)5

1. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الكتاب العربي، 1987م، ج1، ص 172
2 . الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 3/ 618
3 . ينظر: الزمخشري، الكشاف، 196/1. والشوكاني، فتح القدير، 1/ 168
4 . الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة: الثانية، 1418 ه ، 258/1
5 . ابن عاشور، التحرير والتنوير، 562/1

3-الاعتراض التعليلي:

وهو الذي يأتي لتعليل أو إبراز الحكمة من الحكم السابق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ – نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾]الأنعام: 151.

إن الاعتراض هنا جاء لتعليل الحكم السابق، وبيان الحكمة من النهي عن قتل الأولاد، وهو أن الله يتكفل برزقهم كما يتكفل برزق والديهم. [1]

فقد جاء في تفسير الخازن: (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ: يعني من خوف الفقر، والإملاق :الإقتار. والمراد بالقتل، وأد البنات وهن أحياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ: يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فإني رازقكم وإياهم لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في أمر الرزق على الله عز وجل)[2]

وأكد الرازي هذا المعنى بقوله: (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ أَيْ مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ وَقَدْ صَرَّحَ بِذِكْرِ الْخَوْفِ فِي قَوْلِهِ: وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ [الْإِسْرَاءِ: 31] وَالْمُرَادُ منه النهي عن الوأد إذا كَانُوا يَدْفِنُونَ الْبَنَاتِ أَحْيَاءً بَعْضُهُمْ لِلْغَيْرَةِ وَبَعْضُهُمْ خَوْفَ الْفَقْرِ وَهُوَ السَّبَبُ الْغَالِبُ فَبَيَّنَ تَعَالَى فَسَادَ هَذِهِ الْعِلَّةِ بِقَوْلِهِ: نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا كَانَ مُتَكَفِّلًا بِرِزْقِ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ فَكَمَا وَجَبَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ تَبْقِيَةُ النَّفْسِ وَالِاتِّكَالُ فِي رِزْقِهَا عَلَى اللَّهِ فَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي حَالِ الْوَلَدِ قَالَ شِمْرٌ: أَمْلَقَ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ يُقَالُ: أَمْلَقَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُمْلِقٌ إِذَا افْتَقَرَ فَهَذَا لَازِمٌ وَأَمْلَقَ الدَّهْرُ مَا عِنْدَهُ إِذَا أَفْسَدَهُ وَالْإِمْلَاقُ الْفَسَادُ.) [3]

1 . يراجع: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م، ج12، ص 54.

2 . الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 2/ 171

3 . الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 13/ 178

المبحث الثالث: أهمية الاحتراس والاعتراض في التفسير وفهم المعنى:

أولاً: أهمية الاحتراس في التفسير وبيان المعنى:

لا شك أن الاحتراس أسلوب بلاغي يحقق عدة فوائد، وقد أشار المفسرون والبلاغيون إلى أهميته في تحسين جودة التعبير ودفع اللبس، ومن أبرزها:

1- دفع اللبس وسوء الفهم:

الاحتراس ليس مجرد تحسين لفظي، بل هو عنصر أساسي في بناء المعنى، يُستخدم لدفع أي توهم قد يطرأ في ذهن المتلقي، مما يجعله أداة فعالة في توضيح الرسالة البلاغية وضبط دلالتها.

ذكر السكاكي أن الاحتراس "يُستخدم لدفع التوهم الناشئ عن المعنى الأول، وهو وسيلة لحماية المعنى من التأويل غير المقصود"[1]

وفي كتاب البلاغة العربية قوله: (الاحتراس أن يأتي المتكلم بكلام يوهم خلاف ما يُريد، ويأتي بَعْدَه بكلامٍ يدفع به ذلك الإيهام، ومثل هذا يُوجَد في أرفع الكلم لتحقيق غرضٍ بلاغي، وقد يوجد في كلام أهل الخطب الارتجالية على سبيل التدارك لما جاء في كلامهم ففطنوا إليه فاحترسوا تكميلاً. كقول الله عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بيضاء مِنْ غَيْرِ سواء فِي تِسْعِ آيَاتٍ إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ} النمل: الآية: 12

إنّ عبارة: {تَخْرُجْ بيضاء} قَدْ تُوهِمُ أَنَّ بَيَاضَهَا رُبَّمَا كَانَ عَنْ بَرَصٍ، فجاءَت عبارة: {مِنْ غَيْرِ سواء} تَكْمِيلاً احْتراسِيّاً لدَفْعِ هذا الإيهام.)[2]

وقوله: (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيى)العلق: 13 فَمَعْنَى لَا يَمُوتُ :لَا يَزُولُ عَنْهُ الْإِحْسَاسُ، فَإِنَّ الْمَوْتَ فُقْدَانُ الْإِحْسَاسِ مَعَ مَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الْأُعْجُوبَةِ وَهِيَ مِمَّا يُؤَكِّدُ اعْتِبَارَ تَرَاخِي الرُّتْبَةِ فِي هَذَا التَّنْكِيلِ. وجاء تَعْقِيبُهُ بقوله :وَلا يَحْيى احْتِرَاسٌ لِدَفْعِ تَوَهُّمِ أَنْ يُرَادَ بِنَفْيِ الْمَوْتِ عَنْهُمْ أَنَّهُمُ اسْتَرَاحُوا مِنَ الْعَذَابِ لِمَا هُوَ مُتَعَارَفٌ مِنْ أَنَّ الِاحْتِرَاقَ يُهْلِكُ الْمُحْرَقَ، فَإِذَا قِيلَ :لَا يَمُوتُ تَوَهَّمَ الْمُنْذَرُونَ أَنَّ ذَلِكَ الِاحْتِرَاقَ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ الْإِهْلَاكِ فَيَبْقَى الْمُحْرَقُ حَيًّا فَيُظَنُّ أَنَّهُ إِحْرَاقٌ هَيِّنٌ فَيَكُونُ مَسْلَاةً لِلْمُهَدَّدِينَ فَلِدَفْعِ ذَلِكَ عَطَفَ عَلَيْهِ وَلا يَحْيى، أَيْ حَيَاةً خَالِصَةً مِنَ الْآلَامِ وَالْقَرِينَةُ عَلَى الْوَصْفِ الْمَذْكُورِ مُقَابَلَةُ وَلَا يحيى بِقَوْلِهِ :يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيها. [3]

2- تجويد المعنى وزيادة وضوحه:

الاحتراس يجعل النص أكثر وضوحًا من خلال إضافة كلمات أو عبارات تزيل أي لبس.

---

1 . السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص 378.

2 . الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ، البلاغة العربية ،دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م،2/ 84-85

3 . . ابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، 30/ 86

يقول الزركشي: " الاحتراس :َهُوَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُحْتَمِلًا لِشَيْءٍ بَعِيدٍ فَيُؤْتَى بِمَا يَدْفَعُ ذَلِكَ الِاحْتِمَالَ"[1]

كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: 54

قال الطبري: (إن وصفهم بالذلة قد يُفهم منه الضعف، فجاء التقييد بـ(أعزة على الكافرين) لدفع هذا التوهم، وإبراز المعنى الصحيح بأنهم متواضعون للمؤمنين، أقوياء على أعدائهم) 2 . وقال الجرجاني: (فإنه تعالى لو اقتصر على وصفهم بأذلةٍ على المؤمنين لتوهم أن ذلك لضعفهم، وهذا خلاف المقصود، فأتى على سبيل التكميل بقوله: {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ})3

3- التأكيد على شمول المعنى وإحكامه:

أحيانًا يأتي الاحتراس لإكمال الصورة الذهنية التي يطرحها النص، مما يجعله أكثر دقة وشمولًا.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ الشمس: 15 ، الاحتراس هنا يُراد به بيان كمال قدرة الله، أي أنه سبحانه وتعالى حين يعذب الظالمين لا يخشى أحدًا، فجاء التعبير ليؤكد تمام عدله وسلطانه المطلق . قال الزمخشري: (فيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب، فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر فَسَوَّاها الضمير للدمدمة، أي: فسوّاها ببنهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم وَلا يَخافُ عُقْباها أي عاقبتها وتبعتها، كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الإبقاء. ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى: فسواها بالأرض. أو في الهلاك، ولا يخاف عقبى هلاكها.)[4]

4- التأكيد على الحكم الشرعي وحمايته من التأويل الخاطئ:

الاحتراس يمنع إساءة الفهم في الأحكام الشرعية. كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ والأذى – كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾)البقرة: 264 . الاحتراس هنا جاء ليؤكد أن المنّ والأذى يبطلان الصدقة كما يبطلها الرياء، مما يعزز أهمية الإخلاص في العمل.

قال الرازي: (قَالَ الْقَاضِي: إِنَّهُ تَعَالَى أَكَّدَ النَّهْيَ عَنْ إِبْطَالِ الصَّدَقَةِ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى وَأَزَالَ كُلَّ شُبْهَةٍ لِلْمُرْجِئَةِ بِأَنْ بَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الْمَنَّ وَالْأَذَى يُبْطِلَانِ الصَّدَقَةَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّدَقَةَ قَدْ وَقَعَتْ وَتَقَدَّمَتْ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَبْطُلَ فَالْمُرَادُ إِبْطَالُ أَجْرِهَا وَثَوَابِهَا، لِأَنَّ الْأَجْرَ لَمْ يَحْصُلْ بَعْدُ وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ فَيَصِحُّ إِبْطَالُهُ بِمَا يَأْتِيهِ مِنَ الْمَنِّ وَالْأَذَى..)[5]

1 . الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م،64/3.

2 . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م، ج10، ص 520

3 . الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م، ص13

4 . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، ج4، ص 761

5 . الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ج7، ص43

5-إضفاء لمسة بيانية تُثري النص:

من خلال ما سبق من أمثلة قرآنية يتضح أن أسلوب الاحتراس يبرز جانبًا من جوانب الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، مما يزيد من فهمنا لعظمة النص القرآني وإعجازه اللغوي.

ثانياً: أهمية الاعتراض في التفسير وبيان المعنى:

الاعتراض في النصوص القرآنية له دور أساسي في التفسير وبيان المعنى، حيث يساعد في توضيح الأحكام، ورفع اللبس، وتعليل الأوامر والنواهي. وقد اهتم المفسرون بهذه الظاهرة البلاغية، وبيّنوا فوائدها في تفسير الآيات القرآنية. ومن ذلك:

1- دفع اللبس وتوضيح المعنى:

يأتي الاعتراض أحيانًا في القرآن الكريم لتوضيح حكم معين أو لدفع توهم قد ينشأ من ظاهر النص.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ – عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ – وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾]البقرة: 102 الجملة الاعتراضية "وما كفر سليمان" جاءت لدفع التوهم بأن سليمان عليه السلام كان له علاقة بالسحر، فبيّن الله براءته من ذلك.

قال القرطبي: (وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ" تَبْرِئَةٌ مِنَ اللَّهِ لِسُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْآيَةِ أَنَّ أَحَدًا نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ نَسَبَتْهُ إِلَى السِّحْرِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ السِّحْرُ كُفْرًا صَارَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ. ثُمَّ قَالَ:" وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا" فَأَثْبَتَ كُفْرَهُمْ بتعليم السحر.)[1]

2- تعزيز المعنى وإبرازه بشكل أبلغ:

الاعتراض في بعض الآيات يأتي لتقوية المعنى، وإبرازه بأسلوب أكثر تأثيرًا، كما في قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المحيض قُلْ هُوَ أَذًى فاعتزلوا النسآء فِي المحيض وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حتى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ الله إِنَّ الله يُحِبُّ التوابين وَيُحِبُّ المتطهرين * نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أنى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنْفُسِكُمْ واتقوا الله واعلموا أَنَّكُمْ مُلاَقُوهُ وَبَشِّرِ المؤمنين} الآيات: 222 –223. إنّ عبارة: {إِنَّ الله يُحِبُّ التوابين وَيُحِبُّ المتطهرين} عبارَةٌ اعتراضيَّة، بين كلامَيْنِ مُتّصلَيْنِ في معناهما، فقوله تعالى: {نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ} متّصل بقوله: {فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ الله} وجاءت العبارة الاعتراضيّة للمبادرة إلى الحثّ على الطهارة واجتناب الأدْبار والتّوبَةِ من إثْمِ إتيانها الذي ربّما كان يفعله بعض الأزواج قبل البيان القرآني.[2]

3- التعليل وبيان الحكمة من الأحكام:

أحيانًا يُستخدم الاعتراض لتعليل الأحكام الشرعية وبيان الحكمة منها، مما يعمق فهم النص القرآني.

---

1 . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م. 43/2

2 . الميداني، البلاغة العربية ، مرجع سابق (2/ 82)

كما في قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) سورة لقمان: 14. ألا ترى إلى هذا الاعتراض الذي طبق مفصل البلاغة، فإنه لم يؤت به إلا لفائدة كبيرة، وذلك إنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المشاق والمتاعب، في حمل الولد وفضاله، إيجاباً للتوصية بالوالدة وتذكيراً بحقها، وإنما خصها بالذكر دون الوالد، لأنها تتكلف من أمر الولد ما لا يتكلفه الوالد، ومن ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن قال له (من أبر): أمك ثم أمك. ثم قال بعد ذلك (أباك). ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَيُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) البقرة: 72-73. فقوله تعالى (والله مخرج ما كنتم تكتمون) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وفائدته إنه يقرر في أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتمانه، لأن الله مظهر لذلك ومخرج له، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها) ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه.[1]

4- التأكيد على شمولية الخطاب وإحكام المعنى:

بعض الآيات القرآنية تتضمن اعتراضات لغرض إحكام المعنى وإكمال الصورة الذهنية التي يقدمها النص. مثال قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾]الشمس: 15. أن هذه الجملة الاعتراضية جاءت لتوضيح مدى سلطة الله وعدله، فهو عندما يعاقب الظالمين لا يخشى أي تبعات أو مساءلة، لأن حكمه مطلق وعادل. قال الزمخشري: (وَلا يَخافُ عُقْباها أي عاقبتها وتبعتها، كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الإبقاء. ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى: فسواها بالأرض. أو في الهلاك، ولا يخاف عقبى هلاكها.)[2]

1 . ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، ـالجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، المحقق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي- 1375 هـ. (ص: 119)

2 . الزمخشري، تفسير الكشاف، 761/4

الخاتمة :

جاءت هذه الدراسة بعنوان: الاحتراس والاعتراض في آيات القرآن الكريم (دراسة تحليلية) لغرض إبراز هذين الاسلوبين وإظهار مكانتهما البيانية والبلاغية، وأهميتهما في التفسير وبيان المعنى، فتناولت أولاً بيان مفهوم هذين الاسلوبين في اللغة والاصطلاح، ثم بيان الفرق بينهما. ثم تناولت أنواعهما واغراضهما، حيث تبين أن الاحتراس قد يكون احتراساً ضدياً أو تكميلياً أو تهكمياً، أو يكون للترقي، كما أن الاعتراض تتعدد أنواعه وأغراضه منها: الاعتراض التفسيري والانشائي والتعليلي.

ثم تناولت الدراسة أهمية هذين الاسلوبين في التفسير وايضاح المعني، ومن خلالها تبين دورهما في إزالة اللبس ودفع التوهم عن المعنى، وتعزيزه المعنى وإبرازه بشكل أبلغ.

كما أظهرت الدراسة أهميتهما في التأكيد على الحكم الشرعي وحمايته من التأويل الخاطئ، مما يؤكد دورهما في علم الفقه واستنباط الأحكام الشرعية.

ولم تغفل الدراسة عن إبراز الناحية البلاغية لهما، حيث أنهما يضفيان لمسة بيانية تُثري النص.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى بعض النتائج، ومقترح للتوصيات، تفصيلها فيما يلي:

أولاً: النتائج:

- أساليب الاحتراس والاعتراض في القرآن الكريم تُعد من أساليب البلاغة القرآنية الرائعة، والتي تضفي على النص جمالاً وإعجازاً.

- يساهم الاحتراس في تحقيق الدقة والوضوح في التعبير القرآني، وحماية النص من الانحراف عن المعنى الصحيح. كما أنه يُظهر اهتمام المتكلم بإيصال رسالته بشكل بليغ وشامل.

- يساعد الاعتراض في تعميق فهم المعنى وإبراز النكات البلاغية في النص القرآني. كما أنه يُظهر مدى عناية المتكلم بالموضوع وحرصه على إيصال المعنى بدقة.

- استخدام الاحتراس والاعتراض في التواصل اليومي يساعد على إيضاح المقصود وتجنب سوء الفهم.

- تطبيق هذه الأساليب يساعد على التفكير بعمق والتنبؤ بالاعتراضات المحتملة.

ثانياً مقترح التوصيات:

- دعوة الباحثين والدارسين إلى مزيد من الدراسة والتحليل لهذه الأساليب، وتطبيقها في الحياة العملية لتحقيق الوضوح والتأثير.

- إدراج دراسة الاحتراس والاعتراض في مناهج تعليم اللغة العربية وعلوم القرآن لرفع مستوى الوعي بها.

- تدريب المعلمين والمرشدين وتوجيههم لاستخدام أسلوبي الاحتراس والاعتراض لشرح المفاهيم بشكل أوضح.

ختاماً، نؤكد على أهمية دراسة هذه الأساليب البلاغية وتطبيقاتها العملية في مجالات التفسير والبلاغة والفقه واللغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، ـالجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، المحقق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي- 1375 هـ.
- ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 م
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار، الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، دار النشر: دار الفكر.
- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى،2001م.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، غريب الحديث، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1405 – 1985.
- الحسيني، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت،
- الحسيني، أبو الفيض محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة 2004م.
- الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى - 1415 هـ
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة: الثانية، 1418 ه
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1980م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الكتاب العربي،1987م
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تفسير تيسير الكريم الرحمن، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.
- السكاكي، **يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي**، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد، تفسير القرآن المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.
- الشعراوي، محمد متولي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.
- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م.
- الطنطاوي، محمد سيد، تفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى يناير 1997.
- العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- الغنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412ه.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، بيروت، 1966م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م
- القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، 1991م.
- الكلبي، أبو المظفر، مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر البديع في نقد الشعر، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة.

- مناهج جامعة المدينة العالمية، كتاب: البلاغة 2 – المعاني، كود المادة: LARB4103، المرحلة: بكالوريوس، جامعة المدينة العالمية.
- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – بيروت.